

تأثير العوامل الجغرافية والديمغرافية في تطور الأمن القومي الإسرائيلي

The impact of geographical and demographic factors on the development of Israeli national security

أ. رزان السعافين: إعلامية وباحثة من قطاع غزة

Ms. Razan Al-Saafin: a journalist and researcher from the Gaza Strip

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على الأمن القومي الإسرائيلي وأهميته وأبعاده، وبيان تأثير العوامل الطبوغرافية، والديموغرافية في استمراره وبقائه، مع إظهار طبيعة العلاقة بين هذين العاملين. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي وأظهرت أهم نتائجها بأن أمن إسرائيل يكمن لأجل حماية المستوطنين من خلال توسيع المستوطنات وتأمين الحدود لأجل التمدد المستقبلي لدولتها. كما تسعى إسرائيل في الحفاظ على الأمن الدائم للسكان من خلال تيسير الأوضاع السياسية والاقتصادية وتأمين استقرارهما بشكل متجدد ودائم.

الكلمات المفتاحية: الأمن القومي، الأمن القومي الإسرائيلي، الاحتلال الإسرائيلي، الصراع العربي الاسرائيلي

Abstract

The study aimed to identify the Israeli national security, its importance and dimensions, and to show the effect of topographic and demographic factors on its continuity and survival, while showing the nature of the relationship between these two factors. The study used the descriptive approach and its most important results showed that Israel's security lies in order to protect the settlers through the expansion of settlements and securing the borders for the future expansion of its state. Israel also seeks to maintain the permanent security of the population by facilitating the political and economic conditions and ensuring their stability on a renewed and permanent basis.

Keywords: national security, Israeli national security, Israeli occupation, Arab-Israeli conflict

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تبلور مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي بشكل مغاير عن باقي العالم، حيث تشكل المفهوم وفق المصلحة السياسية المبلورة عن الاتجاه الديني السائد في المعتقدات الصهيونية، وكذلك تسعى دائماً إسرائيل للعمل بوسعها لتسخير كل العوامل المحيطة لأجل استمرار كيان الدولة.

وهذا يتضح كونها جسم غريب مزروع في الشرق الأوسط، ولا غرابة أن يبلور هذا المحتل المفاهيم لصالح ديمومته، ونعرض في المقال مدى تأثير العوامل الديمغرافية والجغرافية في تطور نظرية الأمن الإسرائيلي. ويقول شمعون بيريز في كتابه: "الشرق الأوسط الجديد" حول هذه المسألة: "إن موضوع الأمن لا يمكن اعتباره موضوعاً قابلاً للنقاش أمام أي رئيس حكومة إسرائيلية، إنه موضوع حياة أو موت بالنسبة لنا جميعاً، وعليه فإن النظر للأمن الإسرائيلي يجب أن يتقدم سلم الأولويات قبل تنفس الهواء، فبقدر ما نضغط أمنياً على أعدائنا بقدر ما تتوفر فرص البقاء والوجود".

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

وتكمن مشكلة الدراسة في مدى تأثير العوامل الطبوغرافية والديمغرافية على الأمن القومي الإسرائيلي ودور هذه العوامل في طمع إسرائيل للتمدد الاستيطاني والاهتمام بالسكان والتركيز على كيفية السيطرة والبقاء من خلال نهب مقدرات شعب محتل، والتطرق في هذه المشكلة لجذلية العلاقة بين هذين العاملين في الوجود الإسرائيلي وبقائه على أرض فلسطين.

ويمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي التالي:

كيف أثرت العوامل الطبوغرافية والديمغرافية على أمن "دولة إسرائيل" القومي؟

ويتفرع من التساؤل الرئيس عدد من التساؤلات الفرعية، وهي:

1. ما هو الأمن القومي الإسرائيلي؟
2. ما هي العوامل الطبوغرافية المؤثرة في أمن إسرائيل؟
3. ما هي العوامل الديمغرافية المؤثرة في أمن إسرائيل؟
4. كيف أثرت العلاقة بين العاملين في الأمن القومي للدولة؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على عدة المنهج الوصفي الذي سعت من خلاله على وصف تأثير العوامل الطبوغرافية والديمغرافية على أمن إسرائيل القومي وآليات إبقاء دولتهم من خلال تلك العوامل من خلال جدلية العلاقة بينها ومن خلال كل عامل على حدى، و"المنهج الوصفي" الذي لا يكتفي بمجرد الوقوف عند وصف الظاهرة موضع الدراسة، بل يتعدى ذلك إلى تحليلها وتفسيرها بهدف استنباط الدلالات والنتائج ذات مغزى من خلالها (عبد الحميد و كاظم، 2002: 134). وفي ضوء هذا المنهج سيتم تسليط الضوء على العوامل الطبوغرافية والديمغرافية وأثرهما في أمن إسرائيل القومي وعلاقة العاملين ببعضهما البعض.

أهداف الدراسة:

تتبلور أهداف الدراسة فيما يلي:

1. التعرف على الأمن القومي الإسرائيلي وأهميته وأبعاده.
2. بيان دور العوامل الطبوغرافية في الأمن القومي الإسرائيلي.
3. بيان دور العوامل الديموغرافية في الأمن القومي الإسرائيلي.
4. إظهار طبيعة العلاقة بين العاملين في أمن دولة إسرائيل.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تقدم توضيحاً وشرحاً للأمن القومي الإسرائيلي وتأثير العوامل الطبوغرافية في تضاريس وجغرافيا الأرض على هذا الأمن، وكذلك العوامل الديمغرافية المتعلقة بتركيبة السكان وطبيعتهم على قومية إسرائيل وأمنها. ومعرفة الأسباب الكامنة خلف هذه العوامل ومدى أهميتها في الحفاظ على بقاء دولة الاحتلال الإسرائيلي أمانة من كل النواحي لحمايتها وإطالة عمرها. وعليه؛ يمكن اعتبار أنّ الدراسة إضافة جديدة للمكتبة العربية للاستفادة منها من قبل الباحثين في الشأن الفلسطيني والإسرائيلي.

المبحث الأول: الأمن القومي الإسرائيلي وتطوره

مفهوم الأمن القومي:

رغم أن مفهوم الأمن القومي شاع بعد الحرب العالمية الثانية إلا أن هناك مؤسسات أكاديمية مهمة بتطور المفهوم ونشأته ومسائله المتعلقة بمصادره، مقوماته، إجراءات ضمان حمايته، من معاهد ومراكز بحث تنتمي إلى جامعات ومؤسسات علمية وإعلامية ومجلات متخصصة وإدارات مؤسسات مرتبطة بالقرار السياسي الرسمي. ويشكل مجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة الأمريكية النموذج الأول والأمثل لهذه المؤسسات، حيث جسّد هذا المجلس التعريف الذي طرحه والتر ليبمان عن الأمن القومي بأنه (قدرة الدولة على تحقيق أمنها بحيث لا تضطر إلى التضحية بمصالحها المشروعة لتفادي الحرب، والقدرة على حماية تلك المصالح إذا ما اضطرت عن طريق الحرب).¹

وتكمن هذه القدرة بعناصر القوة التي تقوم على الأسس التي تشارك في تحديد الأمن القومي للدولة وتمثل قاعدة عمل لها ويمكن تحديدها في العنصر الجيوبوليتيكي والديموجرافي والاقتصادي والسياسي والعسكري، في حين أن عوامل التهديد هي كل ما من شأنه تهديد القيم الداخلية للدولة وكيانها بفعل عوامل داخلية أو عوامل خارجية، فهي عوامل تشكل جوانب الضعف في كيان الدولة ويمكن أن تستغلها القوى المعادية لتهديد الأمن القومي للدولة. والأمن القومي للدولة ينبع أساساً من معرفتها لمصادر قوتها ونقاط ضعفها والعمل على تنمية مصادر القوة والتغلب على عوامل الضعف.² ولهذا كان مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي – موضوع الدراسة – يختلف عن باقي العالم، حيث باعتبار أن الشعب كله جيش مسلح في سبيل الأمن الإسرائيلي، أي جيش له دولة وليست دولة لها جيش، وأيضاً لا بد أن تكون الحروب في أرض الغير وليس داخل بلادهم المزعومة؛ بمعنى نقل المعركة إلى أرض العدو تجاوزاً لافتقارها للعمق الاستراتيجي.

حول الديمغرافيا والجغرافيا في الأمن القومي:

يعد العامل الديموغرافي أحد عناصر قوة الأمن القومي، حيث يلعب العنصر البشري دوراً أساسياً في الأمن القومي لأية دولة، فعدد سكان الدولة يشكل عصب القوة البشرية اللازمة للحرب وللإدارة في الأجهزة المدنية، ولكن كبر حجم السكان ليس ضماناً في كل الأحوال لامتلاك قوة

¹ عبد الحفيظ علاء، الأمن القومي.. المفهوم والأبعاد، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، 11 مارس 2020م ص1.

² المرجع السابق، ص10، 11 مارس 2020م.

عسكرية كبرى، فهناك عوامل كيفية أخرى أهمها القدرات القتالية ونوعية التسليح والتدريب. كما تعتبر المناطق ذات الكثافة السكانية العالية من العوامل التي تجعلها صعبة الاختراق والسيطرة عليها، ومن ثم فإن محاولة الاحتفاظ بها تعني تجميد نسبة كبيرة من قوات الاحتلال فيها. وخلاصة القول فيما يتعلق بالعنصر البشري إن تعداد السكان يعتبر من العوامل المهمة نسبياً في تكوين قوة الدولة، خصوصاً كلما اتسع نطاق فئات العمر في التكوين السكاني للدولة، و تخلق ضخامة السكان مع توافر عوامل أخرى قوة عسكرية للدولة، كما تجعل من الصعب على أية قوة أجنبية أن تسيطر عليها، بشرط أن يرتبط ذلك بالحد الأمثل للسكان.¹

أما العامل الجغرافي فيمثل أهمية قصوى بالنسبة لسياسات الأمن القومي. وقد ظهرت العديد من النظريات التي حاولت الربط بين تلك الطبيعة والأمن القومي، ومن بينها نظرية قلب الأرض، وتتلخص هذه النظرية التي وضعها ماكيندر عام 1904 أن المستقبل لقوى البر، حيث يجعل ماكيندر من اليابس قلباً للأرض يتحكم في الأطراف.² وهناك نظرية القوة البحرية لـ ماهان والتي يرى بها أن المستقبل لقوى البحر وأن الدول البحرية هي المؤهلة لامتلاك القوة البحرية التي هي سبيل السيادة العالمية.³

الأمن القومي الإسرائيلي:

استندت إسرائيل في مفهومها "للأمن القومي" على مبادئ صهيونية منها "نكون أو لا نكون"، وعلى اعتبار أنها في تهديد مستمر من الدول العربية، وإضافة إلى أن قضية الأمن هي المفتاح الرئيسي لجميع خطوطها السياسية ومنهج عمل الحكومات والقيادات الأمنية والعسكرية.⁴

وانطلقت إسرائيل في بناء نظرياتها الأمنية على العوامل الديمغرافية والاقتصادية والجيوستراتيجية. وعليه فإن قواعد نظريات الأمن الإسرائيلي، تعتبر في تطور دائم بناءً على إدراك القيادة العسكرية والأمنية الإسرائيلية، بأنه من الصعب المحافظة على نظريات ثابتة، لا سيما في ظل مفاهيم الأيديولوجية الصهيونية التي تتمحور حول التوسع والسيطرة.⁵

¹ المرجع السابق، ص 12، 13.

² المرجع السابق، ص 11

³ المرجع السابق، ص 12.

⁴ الأمن (القومي) الصهيوني: مرتكزات ومفاهيم، وكالة إيران اليوم الإخبارية الإلكترونية، 3 فبراير، 2020م، انظر الرابط التالي: <https://iranalyoum.com/?p=40250>

⁵ استراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي، موقع عكا للشؤون الإسرائيلية، 1، يونيو 2016م، انظر الرابط التالي:

<https://cutt.us/RM3Vx>

فالأمن القومي الإسرائيلي هو منع نشوب حرب من موقف التعادل دون التنازل عن كنوز قومية من الدرجة الأولى وأحد أهم الوسائل لمنع نشوب الحرب خارج إطار القوة البحثية هو تجميد حلفاء كمصدر لمساعدات كحد أدنى. ¹ لذلك، اعتمد الفكر الإسرائيلي للتخطيط في المجال الاستراتيجي، على العديد من الأسس، أبرزها حاجة المجتمع للأمن، نتيجة لطبيعة نشأة الدولة، وخصائصها (البشرية، الجغرافية، الاجتماعية، مواردها الطبيعية، علاقاتها الدولية)، وصياغة ركائز نظرية الأمن، لتحقيق أهداف الدولة العليا.²

مفهوم نظرية الأمن الإسرائيلي:

ينطلق مفهوم الأمن الإسرائيلي من مقولة (أرض إسرائيل) أي شعب بلا أرض، لأرض بلا شعب وإنكار الوجود العربي الفلسطيني وضرورة فرض الوجود الصهيوني. وهذا المفهوم نابع من كون إسرائيل كيان غريب زرع في هذه المنطقة لتحقيق أهداف الغرب.

وعليه تعني نظرية الأمن الإسرائيلي "المفاهيم، التي تنتهجها إسرائيل لضمان أمنها، أو هي مجموعة القواعد والمبادئ والأساليب، التي يتم في إطارها تحديد التهديدات التي تتعرض لها إسرائيل، طبقاً لأسبقياتها وطرق مواجهتها"، مع الوضع في الاعتبار الاستغلال الأمثل لمعطيات القوة الإسرائيلية، في مقابل تحجيم معطيات القوة العربية، وتعتبر عملية تصنيف أسبقيات العمل واتجاهاته، من الجوانب الحيوية للمفاهيم الإستراتيجية الإسرائيلية.³

وبهذا ترتكز نظرية الأمن الإسرائيلي على جملة من العوامل المتداخلة المترابطة والتي تشمل مختلف مجالات النشاط والفعاليات الحيوية في إسرائيل ومن هنا فإن نظرية الأمن الإسرائيلي ظاهرة مركبة تتكون من القوة العسكرية، والهجرة اليهودية إلى إسرائيل، وتوسيع عمليات الاستيطان، وتخفيف الهجرة المعاكسة من إسرائيل إلى الخارج، وتقوية القاعدة الاقتصادية، وتأمين تحرك سياسي دبلوماسي خارجي يوظف لصالح تأمين متطلبات الأمن، وتوفير المعلومات اللازمة عن الدول العربية، وفي النهاية استخدام العوامل السابقة من أجل التوسع قدر الإمكان وضمن المناطق الحيوية

¹ خلف موسى، حسين، المفهوم الأمني المصري مقابل المفهوم الأمني الإسرائيلي، دراسة أمنية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، 23 فبراير، 2020م، انظر الرابط التالي: <https://cutt.us/ot2DB>

² خالد عبد العزيز، نشأة نظرية الأمن الإسرائيلي (النظرية الاستراتيجية والعسكرية)، المبحث 1، للمزيد انظر:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/AmanIsrael/sec02.doc_cvt.htm

³ موسوعة المقاتل الالكترونية، المرجع السابق نفسه، انظر:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/AmanIsrael/sec01.doc_cvt.htm

والاستراتيجية المحيطة بإسرائيل، لذلك تتضمن الاستراتيجية الإسرائيلية مخططات شاملة للتوسع في جنوب لبنان، والضفة الغربية، والجولان.¹

تطور مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي:

بطبيعة حال الأمن القومي بشكل عام أنه متغير وليس ثابت تبعاً لتغير المصالح والظروف المختلفة، فلقد طرأ على مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي بعض التعديلات نتيجة الحروب العربية - الإسرائيلية، والمتغيرات والمعطيات الجغرافية والسياسية الناجمة عنها، وما تغير عبر هذه السنوات فقط أدوات تحقيق هذا الأمن ولكن ليس بمعنى التغير الكامل أو الإحلال. وقد تطور مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي عبر عدة مراحل:²

1. الضربة المضادة الاستباقية: والتي كانت ترتبط بانعدام العمق الاستراتيجي لإسرائيل. وينطلق هذا المفهوم من مقولة مفادها أن من الحيوي عدم السماح مطلقاً بأن تدور الحرب في أرض إسرائيل، بل يجب نقلها وبسرعة إلى أراضي العدو، وطوّرت مفهوماً للردع ثم استبدلته بمفهوم لذرائع الحرب الاستباقية يقوم على شن حرب استباقية إذا حاول العدو (العربي) التصرف في أرضه على نحو يقلق إسرائيل مثل المساس بحرية العبور أو حشد قوات على الحدود الإسرائيلية أو حرمانها من مصادر المياه. ولذا كانت عملية تأمين قناة السويس تستدعي عملاً عسكرياً تمثل في عملية قاذش أو ما نسميه العدوان الثلاثي.³
2. نظرية الحدود الآمنة: تطوّر مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي لاحقاً لتظهر هذه النظرية، وقد وُضعت أسسها قبل 1967 لكنها تبلورت بعد حرب 1967، وقد شرحها (أبا إيبان) وزير الخارجية آنذاك بأنها نظرية تقوم على حدود يمكن الدفاع عنها دون اللجوء إلى حرب وقائية. ويلاحظ في هذه النظرية غلبة المكان على الزمان بشكل تام، إذ يُنظر للشعب العربي باعتبار أنه يجب القضاء عليه تماماً أو تهيمشه، فنظرية الحدود الآمنة إعلان عن نهاية التاريخ (العربي).⁴
3. نظرية ذريعة الحرب: تكونت بعد أن أكدت حرب 1973م فشل معظم نظريات الأمن

¹ دلول عصام، ما هي النظرية الأمنية الإسرائيلية الداخلية وما هي أبعادها؟، موقع أمد للإعلام، 25 فبراير 2020، انظر: [338622/https://www.amad.ps/ar/post/](https://www.amad.ps/ar/post/338622)

² المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد السابع: إسرائيل.. المستوطن الصهيوني، ج 4: النظام الاستيطاني الصهيوني، الباب الرابع: نظرية الأمن، ص 219.

³ المرجع السابق، ص 220.

⁴ المرجع السابق، ص 220.

الإسرائيلي المكانية. وتذهب هذه النظرية إلى أن إسرائيل لن تتمكن بأي شكل من الأشكال من الامتناع عن تبني إستراتيجية الحرب الوقائية وتوجيه الضربات المسبقة في حال تعرّضها لتهديد عربي مثل ضرب المفاعل العراقي في الثمانينات وضرب مصنع اليرموك في السودان حالياً¹. وبشكل عام، فإن نظرية الأمن الإسرائيلي، هي المنبع الذي يستقي منه العسكريون الإسرائيليون توجهاتهم، ومن ثم بناء عقائدهم. كما أنها الأساس، الذي تركز عليه استراتيجيتهم وأساليبهم، في إدارة الصراع مع الدول العربية. "وعلى الرغم من ذلك فإنها لم تكتب أبداً، كما لم تكتسب قوة إلزامية تتمسك بها القيادة السياسية العليا².

المبحث الثاني: تأثير العوامل الديمغرافية والجغرافية في الأمن القومي الإسرائيلي:

العامل الجغرافي:

نشأت إسرائيل "وسط بحر من الأعداء" كما يقول الكاتب الإسرائيلي هارون باريف في مقالة له نشرتها "المنار للصحافة والنشر"، فإن تمتع دولة إسرائيل بمساحة جغرافية صغيرة يفقدها العمق الإستراتيجي، لذلك فإن نظرية الأمن لديها تخضع للتغيير والتجديد والتطور باستمرار مقارنة بما يحدث من تطورات داخلية أو إقليمية وعالمية تجري ضمن ظروف تاريخية معينة، أي أن موضوع الأمن مصدر قلق دائم للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية وهو يمثل بؤرة إهتمام قصوى تسبق أيّاً من الأولويات الأخرى³. ويعتبر العمق الإستراتيجي من التحديات الرئيسة للنظرية الأمنية الإسرائيلية نظراً لوضع إسرائيل الجغرافي، ومن هنا اعتقد مخططو نظرية الأمن الإسرائيلي أن من شأن أية حرب شاملة أن تهدد وجود الدولة، وهو ما دفعها إلى تجنب أي حرب من هذا النوع على أراضيها، مما استوجب بلورة مفهوم نقل المعركة إلى أرض العدو لإيجاد عمق إستراتيجي مصطنع⁴. فنظرية الأمن الإسرائيلي تدور داخل فكرة الحدود الجغرافية الآمنة ذات الطابع الغيتوي التي تستند إلى معطيات جغرافية مثل الحدود الطبيعية: نهر الأردن، هضبة الجولان، قناة السويس. وقد اقترح حايم أرونسون ما سماه "الحائط النووي"، أي أن تقبع إسرائيل داخل حزام مسلح تحميه الأسلحة النووية. وهي فكرة بسيطة مجنونة، تتجاهل العنصر الإنساني الملتحم بالجسد الصهيوني نفسه، ولا تختلف

¹ المرجع السابق ، ص 220

² نظرية الأمن الإسرائيلي، موسوعة المعرفة الالكترونية، انظر الرابط التالي: <https://cutt.us/5gkkc>

³ المصري، محمد، نظرية الأمن الإسرائيلي، مركز الأسرى للدراسات، 2 أغسطس 2009م، للمزيد انظر:

8585=https://alasila.ps/ar/index.php?act=post&id

⁴ نظرية الأمن الإسرائيلي، شبكة انتفاضة فلسطين، 23 يونيو 2017م، انظر الرابط التالي:

http://www.alma3raka.net/spip.php?page=article&id_article=190&lang=ar

فكرة المستوطنات - القلاع المحصنة كثيراً عن الحائط النووي، وهي سلسلة من المستوطنات التي تحيط بحدود إسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان والنقب، وهي مستوطنات أمنية مختلفة عن تلك التي أقيمت لأسباب دينية أو اقتصادية.¹ يقول د. عبد الوهاب المسيري: "إزاء مشكلة غياب العمق الاستراتيجي للكيان الصهيوني يُحدّد الفكر العسكري الإسرائيلي ما يُسمّى "ذرائع الحرب" على نحو فريد. فالدولة الصهيونية تعتبر كل دولة عربية مسؤولة عن أي نشاط فدائي ينطلق من أراضيها، وازدياد هذا النشاط يُعدّ ذريعة من ذرائع الحرب."²

ولقد حددت الحركة الصهيونية فكرة الأمن بشكل جغرافي وأسقطت العنصر التاريخي، وتصورّت أنه عن طريق الاستيلاء على قطعة ما من الأرض أو على هذا الجزء من العالم العربي أو ذاك وعن طريق التحالف مع الولايات المتحدة والقوة العسكرية، فإنها تحل مشكلة الأمن وتصل إلى الحدود الآمنة، ولكن الانتصارات الإسرائيلية التي كانت ترمي لتحقيق الأمن كانت تؤدي إلى نتيجة عكسية، حتى وصلت التناقضات إلى قمته مع انتصار عام 1967، وكان لا بد أن تُحسم هذه التناقضات، وهو الأمر الذي أنجزت القوات المصرية والسورية يوم 6 أكتوبر 1973 جزءاً منه، ثم اندلعت الانتفاضة لتبين العجز الصهيوني.³

العامل الديمغرافي:

لقد أدى هدف تحقيق الهيمنة اليهودية في فلسطين التاريخية والحفاظ عليها دوراً بارزاً في تشكيل السياسات الإسرائيلية، سواء الداخلية منها أم الخارجية.

فالسياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين على جانبي الخط الأخضر مرتبطة بالدرجة الأولى بالإعتبارات الديمغرافية، وعلى سبيل المثال لا يوجد شيء يوازي أهمية الموضوع الديمغرافي بين الأسباب المتعددة (مثل الأمن والطاقة الاستيعابية وتعرض ثقافتها للخطر) التي تقدمها إسرائيل لازدراء الاتفاقيات الدولية ومعارضة عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم.⁴

¹ المصري، محمد، مصدر سابق.

² البُعْد الصهيوني لنظرية الأمن القومي في إسرائيل، مشروع الحصن، 18 مايو 2021م، انظر:

<https://www.alhesn.net/play-10989.html>

³ شبكة انتفاضة فلسطين، مرجع سابق.

⁴ زريق، إيليا، الديمغرافيا والترانسفير: طريق إسرائيل إلى اللامكان، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003م. مجلة

الدراسات الفلسطينية، مجلد 14، ع 55، ص 42.

فالديمغرافيا ضمن وجهة نظر صهيونية، هي مسألة "وجودية" أي تتعلق بالدرجة الأولى بيهودية الدولة وهو المعيار الأول والأهم في موضوع الديمغرافيا. وفي هذا الصدد، فإن جميع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تحاول جاهدة المحافظة على الأغلبية اليهودية داخل إسرائيل، من خلال المحافظة على نسبة لا تقل عن 80% لصالح اليهود، وهي نسبة جرت المحافظة عليها منذ العام 1948.¹ ولقد احتل موضوع الديمغرافيا اهتماماً خاصاً في السنوات الأخيرة في كثير من المؤسسات الاستشارية ومراكز الأبحاث وهيئات صنع القرار في إسرائيل.²

تعتبر الديمغرافيا بالنسبة لإسرائيل موقفاً موضوعياً أحياناً من خلال حل الدولتين مع الحفاظ على حقوق الطرفين، وهذا يتبناه اليسار، أما اليمين المتطرف يركز على أحادية الدولة في الديمغرافيا وكذلك الطبوغرافية، هذا علاوة على فكرة الترانسفير الداعية لترحيل الفلسطينيين عن دولة إسرائيل.

جدلية العلاقة بين العاملين:

إن محاولة قياس القوة الشاملة لأي دولة من دول العالم يستند على أساس مساحتها وعدد سكانها ونظام الحكم فيها ومجتمعها وقوة اقتصادها وبالتالي قوتها العسكرية. ولا شك بأن إسرائيل قد قلبت هذه المقاييس رأساً على عقب من خلال بناء دولتها فكيف تمكنت إسرائيل من زيادة عدد سكانها وكيف تمكنت من بناء قوتها العسكرية وانتصرت في الحروب التي خاضتها ضد الدول العربية وكيف أثبتت مفهوم التفاضل وأثبتت ضمن صفحات التاريخ أن القوة الفعلية لا تقاس بأي حال من الأحوال وفق "الكمية" وإنما وفق "النوعية" وكيف أصبحت بفعل التكنولوجيا المتقدمة دولة عظمى قياساً لما احتوته ترسانتها النووية من رؤوس نووية. وكيف بنت اقتصاداً قوياً في العالم رغم حصارها من الدول العربية شرقاً وشمالاً وجنوباً. وكيف فرضت نفسها على المسرح الدولي سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً. وتمكنت من عدم الالتزام بتنفيذ كل قرارات الشرعية الدولية بما فيها قرارات الأمم المتحدة وأصبحت بحق صاحبة أطول إحتلال عسكري زمني للأراضي الفلسطينية والسورية.³

وعليه فإن أهداف الأمن القومي الإسرائيلي التي تُبنى عليها نظرية الأمن، لم تحددها القيادة السياسية المختصة منذ أواخر حرب التحرير عام 1948 وحتى يومنا هذا. ولا يعني ذلك أنها غير

¹ عمرو، أحمد، عباس رئيساً لفتح ... ماذا يعني ذلك؟، "يمرس": محرك بحث إخباري، 29 أغسطس 2009م، انظر:

<https://www.yemeress.com/akhbaralyom> 11102

² المرجع السابق.

³ عمر توفه، حسين، نظرية الأمن القومي في إسرائيل، موقع عمون: صوت الأغلبية الصامتة، 18 يونيو 2019 م،

انظر: <https://www.ammonnews.net/article/465296>

موجودة، فهي تشكل مجموعة من المبادئ والقواعد، تشبه في ذلك الدستور البريطاني غير المكتوب.¹ كما تَطَلَّب طموح واتساع أبعاد المخطط الإسرائيلي، أن يعتمد في تحقيق أهدافه على التدرج المرحلي، والانتقال المتتالي من هدف لآخر، وصولاً إلى الغاية الوطنية، التي تنتشدها إسرائيل. لذلك يرتبط تطور مفهوم الأمن الإسرائيلي، وتحقيق أهدافه بالنظرة الإسرائيلية إلى الذات، والنظرة إلى غير اليهود، ليسبق موضوع الأمن (من حيث الشكل أو المستوى) موضوع الأرض. كما يقضي بتوظيف التفوق العسكري الإسرائيلي، لتحقيق التوازن والاستقرار في المنطقة من المنظور الإسرائيلي. كذلك ربط مفهوم الاستقرار، بالردع والقدرة على التهديد، ثم إجبار الطرف الآخر على الاستجابة لما تراه إسرائيل من مركز القوة، حيث تسمح النظرية بقصر التنازلات الإقليمية على الأراضي ذات الأهمية الإستراتيجية المحدودة، أو تلك التي يمكن تعويضها من خلال التطور النوعي في نظم التسليح.² ولهذا نرى عاملي الديموغرافيا والجغرافيا متداخلين ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فكلهما يكملان بعضهما البعض، فالسكان هم ثروة الأرض، والأرض يحميها السكان.

وعليه فإن ما يسعى إليه المستوطن الإسرائيلي للحفاظ على الأرض يكمن في العمل على استكمال فرض شرعية الوجود الإسرائيلي، على شعوب المنطقة، بكل السبل المتاحة. وتأمين المجال الحيوي، الذي يُحقّق المطالب الأمنية لإسرائيل على حساب الأرض العربية، وكذلك استمرار العمل على جذب الجزء الأكبر، من يهود العالم، للهجرة إلى إسرائيل فضلاً عن ضمان استمرار التفوق الحضاري لإسرائيل، في منطقة الشرق الأوسط، وجعل الدولة المركزية الفعالة دائماً في المنطقة، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً وهذا كله يعلوه المحافظة على التحالف الوثيق، مع إحدى الدول العظمى.³ لهذا لا عجب من مبالغة إسرائيل في أمنها القومي بشكل لم تعهده دول العالم قديماً أو حديثاً، وهذا الإطار العام يهدف إلى مجابهة أية محاولة عربية لاتخاذ بعض التدابير الدفاعية، ضد أسلحة الدمار الشامل التي تنفرد إسرائيل بامتلاكها في المنطقة، أو اتخاذ بعض الإجراءات لإعادة ترتيب البيت العربي. وعلى النقيض من ذلك، فإن إسرائيل تسارع إلى وضع العراقيل والمتاهات واقتعال لأعداء لكي تحبط مساري العرب والفلسطينيين لتحقيق السلام الشامل والعدل، وفي الوقت ذاته تضع إسرائيل إمكاناتها الإعلامية والعسكرية لإحباط نهوض أية قوة عسكرية عربية، الأمر

¹ عبد العزيز خالد، نظرية الأمن الإسرائيلي، موسوعة المقاتل الالكترونية، مقدمة، انظر:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/AmanIsrael/sec01.doc_cvt.htm

² المصدر السابق.

³ خلف، موسى حسين، محددات سياسة الأمن القومي الإسرائيلي في ضوء ومرحلة ما بعد "الثورات العربية"، المركز

الديمقراطي العربي، 17 أبريل 2017م، انظر الرابط التالي: <https://democraticac.de/?p=219>

الذي من شأنه أن يشدّ الهمم لتغيير الخيار الإستراتيجي العربي الوحيد، ألا وهو خيار السلام إلى خيار أو خيارات أخرى قد تمثل منعطفًا خطيرًا بالفعل على الدولة العبرية¹.

وبسبب النظرة الإسرائيلية المرتبطة بالذات للشعور النفسي الداخلي للإنسان اليهودي القادم من الخارج بحثًا عن تحقيق الذات بعيدا عن "موروث الهولوكست" والاغتراب في أرض الميعاد في أجواء دولة عسكرية تعتمد على القوة – في المقام الأول – لاستمرارية وجودها والحفاظ على ما سلبته من الأراضي العربية، وهي بذلك تكون نظرة مستغرقة في البحث عن الأمن أولا وقبل كل شيء، وبالمقابل نجد نظرة اليهود إلى غير اليهود نظرة تشوبها مقومات الاستعلاء الحذر وعدم الثقة انطلاقا من دوافع دينية صرفة أو من دوافع أفرزتها دواعي احتلال أراضي الغير².

إن نظرية الأمن الإسرائيلي لا تستهدف فقط تحقيق الأمن عبر ضمانات دبلوماسية وسياسية دولية بل تستهدف إيجاد الوسائل العملية الداخلية لدى إسرائيل القادرة على تجسيد نظرية الأمن الإسرائيلي وفي هذا المجال تقول جولداماثير: إن ما نريده ليس ضماناً من الآخرين لأمتنا، بل ظروفًا مادية وحدوداً في هذه البلاد تضمن بشكل أكيد عدم نشوب حرب أخرى. وبذلك نرى أن نظرية الأمن الإسرائيلي تقوم على مبدأ الحقائق الملموسة بتعبير آخر وتستند إلى قوة فعلية تتجسد في وجود جيش عسكري قوي يشكل سياجاً حقيقياً للأمن الإسرائيلي، في مرحلة معينة، ووسيلة لتحقيق نظرية الأمن التي تتضمن في إطارها مظاهر التوسع في الأرض العربية أيضاً³.

وما يجب ذكره بناء على ذلك أن مقومات النظام السياسي والأسس الفكرية التي يركز عليها الأمن القومي هي التي تشكل المرجعيات وتصاغ على أسسها الاستراتيجيات الأمنية المتعددة، ولهذا ما قد يكون مصلحة أمنية لطرف قد يكون خطراً أمنياً للطرف الآخر، وما قد يشكل خطراً لطرفين قد يكون مصلحة أمنية لطرف ثالث، ويمكن أن تتحول وتتغير الإعتبارات الأمنية تبعاً للظروف والمعطيات التي يمكن أن تكون مصنوعة ومعدة مسبقاً ومفروضة فرضاً أحياناً، أو تلك التي تأتي بشكل تلقائي نتيجة الحراك السياسي وتغير موازين القوى⁴.

بناء على سبق، يمكننا التوصل إلى قناعة بأن إسرائيل سوف تستمر في الاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية وأن كل منطقة جديدة تقع في الأيدي الإسرائيلية يتم تحويلها إلى منطقة عازلة

¹ موقع عكا للشؤون الإسرائيلية، مرجع سابق

² خلف موسى، حسين، مرجع سابق.

³ نظرية الأمن الإسرائيلي، الموسوعة الجزائرية، مرجع سابق.

⁴ الحساينة، تيسير، مرتكزات الأمن القومي العربي مقابل مرتكزات الأمن القومي الإسرائيلي، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، 16 يناير 2011م.

ومنطقة تجمع للقوات الإسرائيلية بحيث تتمكن إسرائيل من نقل الحرب إلى الأراضي العربية. كما أن إسرائيل لديها الآن من التفوق التكنولوجي ما يمنحها القدرة على ضرب الأهداف الإستراتيجية في كل دول الجوار العربي دونما حاجة إلى تحريك أي جندي إسرائيلي فهي تضم اليوم آلاف الصواريخ الباليستكية والتي تستطيع الوصول إلى كل العمق العربي من الشرق إلى الغرب وإن الإستمرار في تهجير الشعب الفلسطيني والإصرار على إقامة المستوطنات اليهودية لأن هذه المستوطنات حسب الأهداف الصهيونية هي حدود دولة إسرائيل وتأمين الحماية والأمن لهذه المستوطنات هي حجة إسرائيل في الاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية.

الخاتمة والنتائج:

يقول بن غوريون: "بالدم والنار سقطت اليهودية وبالدم والنار تعود من جديد"، فالعقيدة اليهودية الأمنية أفرزت لديهم حساً تاريخياً مقتصرًا على فكرة العودة إلى أرض الميعاد لتأسيس دولتهم المزعومة بشكل مجرد، ويبررون لأنفسهم كل الدواعي لاستخدام المواطنين وتحويلهم جيش أسطوري مضطهد من حقه الدفاع الدائم عن دولته، والتوسع السلمي على حساب رغبات الأوساط العربية ولهذا تعقد إسرائيل أنفاً اتفاقات التطبيع بشكل سريع علنا من أجل الحفاظ على ديمومة دولتها المعرضة للانهايار بأي وقت في الصراع العربي الإسرائيلي، مع إنكارها لوجودهم أصلاً وترسيمها لوجودهم شكلاً.

إن نظرية الأمن، التي وضعها منذ أكثر من 40 سنة بن غوريون، أرادت أن تجيب على سؤال مصيري لإسرائيل، وهو كيفية تحقيق الأمن لشعب قليل العدد، يواجه كثرة معاديه؛ فالبينة العربية معادية لوجود إسرائيل. وفي معظم الحالات، أخذ بن غوريون في الحسبان ضعف إسرائيل في القوة البشرية (ديموجرافية السكان مقارنة بالشعوب العربية)، ومساحتها الضيقة، وكذلك مواردها المادية المحدودة. وهو ما أدى به إلى الاتجاه نحو عدد من المبادئ، شكلت ركائز نظرية الأمن، أبرزها: أن كل الشعب هو جيش (الشعب المسلح). ونقل الحرب إلى أرض العدو. وبناء على تلك الركائز، فإن الوجود القومي الإسرائيلي، مرتبط بمدى كفاءة جهاز الأمن في مفهومه الواسع، لخلق تفوق متنامٍ وسريع يؤدي إلى معالجة الضعف الأساسي لإسرائيل.¹ وقد توصل واضعو نظرية الأمن إلى حلول لذلك، وقاموا بتطبيقها في إطار نظريتهم. وعليه فإن جيش الدفاع الإسرائيلي، الذي يعد الأداة الأساسية لجهاز الدفاع، وضع لنفسه أسلوباً عملياً هجوماً يساعد على حماية سيادة الدولة واستقلالها، من خلال طريقة قتال تهدف إلى نقل الحرب إلى أراضي العدو، وإلحاق الهزيمة بقواته في معارك حاسمة وسريعة. لذلك، بني الجيش الإسرائيلي وأعدت نظريته القتالية، وزعت الموارد بين القوى الهجومية

¹ خالد عبد العزيز، مرجع سابق

(مثل القوات المنقولة جوا والطائرات المقاتلة القاذفة، والهليكوبتر الهجومية، والدبابات والمدفعية ذاتية الحركة، وغير ذلك)، وبين قوى الدفاع (مثل المشاة، والأسلحة المضادة للدبابات، والأسلحة المضادة للطائرات، والملاجئ، والوقاية من أسلحة الدمار الشامل، وغير ذلك)¹. وفي النهاية فإن نظرية الأمن القومي في إسرائيل تتكون من القوة الشاملة والعامل السياسي والعامل الديمغرافي والقوة العسكرية والتحالف الإستراتيجي والاستمرار في احتلال المزيد من الأراضي العربية.²

ونستنتج مما سبق ما يلي:

1. ينبع العمق الأمني لإسرائيل لأجل حماية المستوطنين من خلال توسيع المستوطنات وتأمين الحدود والتوسع الدائم لتحقيق حلم الدولة المزعومة ولو بعد حين.
2. تسعى إسرائيل في الحفاظ على الأمن الدائم للسكان من خلال تيسير الأوضاع السياسية والاقتصادية وتأمين استقرارهما بشكل مستجد مرن ودائم.
3. تعقد إسرائيل تحالفات وتعمل على تأمين الغربية منها لإضعاف الجيران العرب من أجل التمدد والتوسع والاستقرار والنفوذ.
4. تعمل إسرائيل على عقد اتفاقيات سلام للتطبيع من أجل إضعاف العرب وخضوعهم لها وتأمين حدودها كدولة تمهيدا لأي توسعة مستقبلية.

قائمة المصادر والمراجع:

- استراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي، موقع عكا للشؤون الإسرائيلية، 1، يونيو 2016م، انظر: <https://cutt.us/RM3Vx>
- الأمن (القومي) الصهيوني: مرتكزات ومفاهيم، وكالة إيران اليوم الإخبارية الإلكترونية، 3 فبراير، 2020م، انظر: <https://iranalyoum.com/?p=40250>
- البُعد الصهيوني لنظرية الأمن القومي في إسرائيل، مشروع الحصن، 18 مايو 2021م، انظر: <https://www.alhesn.net/play-10989.html>
- توفة حسين، نظرية الأمن القومي في إسرائيل، "عمون نيوز"، 2019م.
- الحساينة تيسير، مرتكزات الأمن القومي العربي مقابل مرتكزات الأمن القومي الإسرائيلي، جامعة الأزهر، غزة 2010م.

¹ خالد عبد العزيز، المرجع السابق ذاته.

² عمر توفة، حسين، مرجع سابق.

- خلف موسى، حسين، المفهوم الأمني المصري مقابل المفهوم الأمني الإسرائيلي، دراسة أمنية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، 23 فبراير، 2020م، انظر: <https://cutt.us/ot2DB>
- دلول عصام، ما هي النظرية الأمنية الإسرائيلية الداخلية وما هي أبعادها؟، موقع أمد للإعلام، 25 فبراير 2020، انظر: <https://www.amad.ps/ar/post/338622>
- زريق إيليا، الديمغرافيا والترانسفير: طريق إسرائيل إلى اللامكان، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 14، ع 55، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003م.
- عبد الحفيظ علاء، الأمن القومي.. المفهوم والأبعاد، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، 11 مارس 2020
- عمرو أحمد، عباس رئيساً لفتح ... ماذا يعني ذلك؟، "يمرس": محرك بحث إخباري، 29 أغسطس 2009م، انظر: <https://www.yemeress.com/akhbaralyom/11102>
- مرتضى إحسان، الديموغرافيا الفلسطينية في حسابات الأمن القومي الإسرائيلي، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، ع 45، تموز 2003م.
- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد السابع: إسرائيل.. المستوطن الصهيوني، ج 4: النظام الاستيطاني الصهيوني، الباب الرابع: نظرية الأمن المصري محمد، نظرية الأمن الإسرائيلي، مركز الأسرى للدراسات، 2 أغسطس 2009م، للمزيد انظر: <https://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=8585>
- موسى حسين، محددات سياسة الأمن القومي الإسرائيلي في ضوء ومرحلة ما بعد "الثورات العربية"، دراسة بحثية، المركز الديمقراطي العربي، مصر، 17 أبريل، 2014م.
- نظرية الأمن الإسرائيلي، الثقافة الأمنية، شبكة انتفاضة فلسطين الالكترونية، 2017م.
- نظرية الأمن الإسرائيلي، شبكة انتفاضة فلسطين، 23 يونيو 2017م، انظر: http://www.alma3raka.net/spip.php?page=article&id_article=190&lang=ar
- نظرية الأمن الإسرائيلي، موسوعة المعرفة الالكترونية، انظر: <https://cutt.us/5gkkc>
- نظرية الأمن الإسرائيلي، نشأة نظرية الأمن الإسرائيلي، موسوعة المقاتل الالكترونية.